قراءات للنصوص الفائزة
في مسابقة الهايكو الماسي

محمود عبد الرحيم الرجبي

كاتب وشاعر من الأردن

دعوة للحياة تختفي في حقل الموت

رغمَ التحذير
حقلُ الألغامِ
مُزْهِر

نادر محمد

هذا الهايكو ناجح جدا في ربط مشهدين وانتاج المشهد الثالث بطريقة مكثفة جدا لا تتجاوز الخمس كلمات، وكأنني أمام قصيدة نانو مكتملة العناصر أيضا، فالمشهد الأول أشارة تحذير غامضة تحفزنا لإكمال القراءة، فإذا هي إشارة تحذير من حقل ألغام كما يظهره المشهد الثاني، لتسيطر علينا الدهشة تماما عندما نرى الحقل مزهرا، وكأن الأزهار تتمتع بصفة وقائية ضد الانفجار أو أن اللغم صار رقيقا بسبب عشرته للأزهار، إلى حد أنه لم يعد يفكر بالانفجار!!

هذا التضاد في المشهدية يخلق الدهشة أو ما يسميه بعضهم الصدمة، وقد نجح الهايكست في جعلها صدمة كاملة !!
يقول صديقنا المدهش والشاعر الكبير أسعد الجبوري في معرض تنظيره وتأطيره لمفهوم التكثيف اللغوي في القصيدة:
(سنتخيّل ونكتب .سنتأمل ونفض مخزون جماليات الرأس ودراماتكيات تربة الكلمات الشفافة منها والعسيرة .سنشغف باستغلال طاقات اللغة واللعب بمنتهيات العصب البلاغي للاختزال ،مما قد يوفر للصور متناهية الدقة، أسرع وعي لقراءة كلّية لأفكار النص وحركية كائناته).
واعتقد أن الهايكست فعل هذا تماما هنا، فقد كثف المشهدية وربطها وأخرج منها بكلمات قليلة بسيطة غير متكلفة، ولكنها شديدة التخزين للمعنى، فهي دعوة واضحة لرفض الموت والاقبال على الحياة، فكثيرا ما خرجت الحياة من رحم الموت، وكثيرا ما كان للموت نفسه طعم الحياة !!

الأذن ترى كالعين أحيانا

فقاعاتُ ماءٍ،
لعلَّهَا أَنفاسُ القمرِ
تَحتَ القَنطرةِ الحجريَّة

ايڤون دبول

هايكو تساؤلي جميل جدا يحمل دهشة الأطفال التي لا تنتهي عند رؤيتهم الأشياء لأول مرة، لذلك نجح بإثارة دهشتنا والاستقرار في الذاكرة، نظرا لبساطة اللغة فيه وتعقيد التركيب المشهدي في نفس الوقت!!

هذا الهايكو تمت صياغته بحرفية عالية عن طريق المزج بين الصورة البصرية التي تخلق ايقاعها الخاص بها وبين الصورة الصوتية التي تخلق ايقاعا موازيا يعتمد على حساسية اللغة وخصائصها الصوتية، في بداية النص يأتيك صوت فقاعات الماء وتراها وهي تتحرر من الماء بصوتها المعروف لدينا، إن الصورة الصوتية هنا تغلب الصورة البصرية للمشهد في المخيلة، ثم ينقلنا النص إلى تساؤل مدهش يفتح أعيننا على اتساعها فلا نرى شيئا، وإنما يسيطر علينا صوت فقاعات الماء، التي تنقلب صورتها فورا من مشهدية واضحة إلى مشهدية لا يمكن رؤيتها لربطها بالليل والظلام، فالقمر يقتحم الصورة فجأة، ويبرر لنا بكل سهولة سبب سيطرة الصورة الصوتية تماما علينا، ويضع تفسيرا استفهاميا لها:(لعلَّهَا أَنفاسُ القمرِ).. وأين (تَحتَ القَنطرةِ الحجريَّةِ).. إنه نص مدهش جدا، استطاع كاتبه أن ينقل إلينا مشهدية مدهشة كاملة دون أن يراها هو نفسه، بل سمع بحدوثها فقط، تماما مثل هايكو باشو الأشهر :

بركة قديمة
ضفدع يَقْفزُ
صوت الماءِ

إن استخدام الهايكست في السؤال هنا (لعلَّهَا) بدلا من السؤال الطبيعي في مثل هذه الحالة وهو(هل هي أَنفاسُ القمرِ) أعطى جمالية بادّحة للنص ومعنى رائعا يفيض بالأمل، فلعل: (حرف/اداة) : حرف ناسخ مشبه بالفعل من أخوات إنّ ، ينصب الاسم ويرفَعُ الخبرَ ويفيد التوقُّع والترجِّي في الأمر المحبوب، والإشفاق من المكروه، وقد تحذف لامُه فيصير علّ، ويمكن اقتران لعلّ بنون الوقاية، وإذا دخلت عليها (ما) كفَّتها عن العمل لعلّ الحبيبَ قادمٌ... باختصار شديد: هذا الهايكو أحببته جدا!!

الطفولة بصمة دائمة على جبين الذكريات

بيتنا القديم
على الأرضية الإسمنتية -
آثار أقدامي
زيّا يوخنّا

هايكو أخذني بعيدا بعيدا إلى طفولتي، عندما كنا نصب أرضية البيت بالإسمنت، ونحاول جهدنا ورغم تحذير أمنا لنا، على ترك بصمات أقدامنا على الأرضية الإسمنتية، وكم كنا نفرح برؤيتها مع مرور السنين، التي ندفع عمرنا كله لعودتها ساعة واحدة!!
هذا الهايكو إيقاعه الداخلي هادئ جدا جدا، وهذا ضروري هنا لأن الغاية فيه جلب الذكريات بعد اغماض العينين عند رؤية آثارنا التي بقيت مكانها لم تتغير، مع أننا تغيرنا إلى الأبد، ورغم رحيل الأحبة فإنهم لا يغادروننا، بل يسكنون فينا دائما، فالقبور عناوين خاطئة، العناوين الصحيحة هي قلوبنا وذكرياتنا التي لا تشيخ!!
يمكنني اختصار هذا الهايكو بكلمتين فقط هما (فلسفة الخلود)..هذا الهايكو هو دعوة للخلود، دعوة لترك بصمة في الحياة، مهما كانت صغيرة أو غير مؤثرة، يقول نيتشه: (“ما من وقت ينقضي بين لحظة وعيك الأخيرة و أول شعاع لفجر حياتك الجديدة ، ومثلما لمعه البرق سينزاح المكان ، وذلك على الرغم من أن المخلوقات الحية تظن أنه انقضى مليارات السنين ولا تستطيع حتى أن تعيدها ،فاللازمان وإعادة الميلاد المباشر يناغمان حينما ينحي العقل جانباً”) وهذا تماما يقوله الهايكو، إنه يحاول أن يخبرنا أن الحياة الزائلة القصيرة، يمكن دائما اعتقال لحظات منها إلى الأبد، بقصيدة بلوحة بصورة وحتى بأثار أقدامنا على الأرضية الإسمنتية المخلصة لذكرياتنا دائما ولا تخوننا كما تفعل الرمال بالتآمر مع البحر!!
من جماليات هذا الهايكو امكانية قراءته بالمقلوب لزيادة جرعة الدهشة فيه، فيصبح:

آثار أقدامي
على الأرضية الإسمنتية -
بيتنا القديم

الحرية عن طريق الموت

أوّل الغُروب
ظِلُّ الكَناري
خارِج القَفَص
جعفر محمود

نص ساحر الإيقاع، يبدأ الايقاع تدريجيا في الوصول إليك موازيا لحركة ذكرى الغروب في مخيلتك وامتدادها التدريجي إلى عينيك، ليفتح نافذة للحزن والصمت والهدوء والتأمل فيك، ثم يأخذك الإيقاع الذي يتوقف فجأة ثم يعاود الصعود فيك إلى مشهدية موازية بنفس اللون والسواد، ولكنه هذه المرة يحرك الحزن بسرعة أكبر فيك، فأنت في الغروب تفقد احساسك اللوني فيما حولك وتقوى أحاسيسك فيك إلى درجة الصمت والحزن المباشر، فتبدأ عيناك بالتحرك مع الإيقاع والتحفز وفتح صنبور الذكريات والتجارب الأليمة، فهناك لونان متشابهان هما لون الشمس الصفراء ولون الكناري الأصفر، واللونان يتحركان باتجاه نهاية الألوان كلها، فإذا كان الأبيض يخلق الألوان وهو بدايتها، فإن الأسود يمتصها جميعا وهو نهايتها الحتمية، نعم، يأخذنا النص إلى اللون الأسود وهو لون الغروب ولون الظل، في تحضير وتجهيز نفسي واضح للصمت الطويل في ليلة طويلة من الذكريات المؤلمة التي ترتبط في مصير الإنسان وحقه في صرخة: (آآآآآه) مجلجلة لا يملك أن يدفع ثمنها فيكتمها مرغما، فيقفز الإيقاع بطريقة مفاجئة تماما لسير الإيقاعين ويذكر (القفص) ثم يهبط السكون مرة واحدة، فترفرف في داخلنا أجنحة الخيال المدهشة، نعم، إنه الموت، حريتنا الوحيدة الممكنة: الغروب، الظل، كناية عن اللون الأسود، لون الموت والعتمة والنهاية، فالشاعر تماما مثل الكناري في القفص، تعيش روحه في سجن الجسد، والجسد في سجن الحياة، والحياة في سجن الموت، وكأن الحرية المتاحة لنا هي الموت فقط في هذا العالم الذي لا يرحم، لذا كان الظل خارج القفص رمزا واضحا إلى أن الحرية الحقيقية في الموت، كلنا أسرى في قفص الحياة، ولا يغادرها سوى أحلامنا وأمنياتنا، لذا فلنحلم مع الشاعر في ظل جديد يكون ملونا بألوان قزح ولا يمكن أسره في قفص!!

يقول شوبنهاور في كتاب العالم إرادة وتمثل أو «العالم كإرادة وتصوّر» :
ان المعاناة هي بجلاء المصير الحقيقي للإنسان كما يقول انه يتعين النظر الى الموت باعتباره الهدف الحقيقي للحياة لأنه في لحظة الموت فإن كل ما تقرر حول مسار الحياة بأسرها ليس الا إعداداً ومقدمة فحسب و الكفاح في الحياة على نحو عابث وعقيم ومتناقض مع ذاته تعد العودة من رحابه خلاصاً .
هذا الهايكو لخص في ست كلمات رواية كاملة هي: رواية الحرية او الموت للكاتب نيكوس كازانتزاكيس، والتي يقول فيها:
- اه لو استطيع ان ادك هذه الحوائط من حولي لتصبح الدنيا اكثر اتساعا.
- ان الرجولة هي الروح وليست الجسد.

محمود الرجبي